

مجموعہ رسائل



## الزميل المستشرق المغربي عبد الكريم جرمانوس في ذمة الله لعيسى الناعوري

لم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد أكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قرأتُ النبأ في جريدة ( البعث ) الدمشقية الصادرة في ٢٠/١١/١٩٧٩م ، وحزنتُ للنبأ ، لانني فقدتُ بالحاج عبد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقا ، وانسانا طيب القلب ، عالما ، محبا لاصدقائه ومخلما لهم .

اول معرفتي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباته في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كُتِبَ هو السيّ اولا ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسعى لاجل زيارتي للمجر ؛ ونجح مسعاه ، فزرتُ المجر في كانون الاول عام ١٩٦٤م ، وهناك سعدت ببلقائه ، وأنسيتُ بمجالسته وتبادل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتفضّل فرافقتني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قدّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدّمني كذلك الى الجمهور في أحد الاندية الثقافية في بودابشت ، حيث القيتُ محاضرة باللغة الانكليزية حول ( الحركة الادبية في المملكة الاردنية الهاشمية ) . واكرمني كذلك بدعوتي الى العشاء في منزله هو وقرينته الحاجة عثشة .

ولم ينقطع تبادل الرسائل بيننا بعد ذلك . وآخر رسالة  
تلقيتها منه تحمل تاريخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م . وهذه صورة عنها .

الى الخ الحبيب العلامة الكبير نجيب الناعوري حفظه الله  
عزيزي، بعد تعياني القلبية اجزله الله تلمعت مع الشكر العظيم  
الكتيب المعنون "بمصطلحات التجارة والتمتع والمصارف"  
من اثر علماء المجمع العلمي في لاردن . واشكركم من صميم قواي  
لهذه الهدية النفيسة - ان الثقافة العربية احبتنا لانسانية في  
القرون الوسطى، وهكذا تمدد روح الجنس البشري اليوم باعمالها  
العلمية الادبية . ونحن في الغيب مضطرون لعرفان البديل والتكواء  
للاجتهاد الثقافي الذي تهديه بجامع اللغة العربية لنا اثناء هذه الايام  
الصعبة - ارجوه ان تقدم شكراي الخاصة الى رئيس المجمع وكل الاعضاء  
الكرام وتعين مع الادارة والمودة بصلتك الحاج عبد الكريم جرمانوس

١٩٧٩  
تموز  
٢٨

أبت من  
١٩٧٩

وقد رددت عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكاننا بالرسالتين تبادلنا  
تحية الوداع الاخر .

كان المرحوم جرمانوس عضواً لمجامع دمشق وبغداد والقاهرة ،  
الى جانب عضوية المجمع العلمي المجري، وعدد من المجمع العلمية  
العالمية الاخرى . وحين علم باننا في الاردن ايضا قد انشأنا مجعسا  
للغة العربية ، سر لذلك كثيرا ؛ وحين منحه المجمع عضوية شرف  
فيه ، اعتبر ذلك مجدا كبيرا له يفتتم به عمره المديد ؛ واهتمت  
بذلك صحف المجر ومجلاتها ومحافلها العلمية والادبية .

والعجيب في جرمانوس انه كان ، رغم نمادي العمر ، كثير  
الحيوية والنشاط : يقرأ ، ويكتب، ويؤلف ، ويترجم ، ويسافر ،  
ويراسل اصقائه العديدين بنشاط يعجز عنه الشبان . وانكر انسي

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان يُدينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقد كنتُ ، حين أرافقه في طريق ، أُضطرُّ الى الجُرِّي لكي أستطيع مسaireً مشيته الشبائية السريعة . وكان قد أُحيلَ على التقاعد قبل سنة واحدة فقط من معهد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لي ساخرًا وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنت « شابًا صالحًا للعمل » ... والآن صرت في نظر الناس ( هُرمًا ) لا يصلح لشيء ...

وبعد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عام ١٩٧٤ ، كان جرمانوس قد بلغ التسعين من عمره ؛ فُكِّمَهُ اصدقائه وتلاميذه من علماء بلده وادبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حول العالم الإسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه ( الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس ) . و ( جوليوس ) هو اسمهُ المُجَرِّي الاصلى ، وقد استبدل به بعد اسلامه اسم الحاج عبد الكريم جرمانوس . وكذلك زوجته السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجري النصراني اسمها الاسلامي ( الحاجة عائشة ) ، وحجّت مع زوجها الى الديار المقدسة، وكرّمت حياتها معه لخدمة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلامية .

ولد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينا ، وليبتزغ . وفي سنة ١٩٠٧ نال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعة بودابشت في اللغة التركية وادبائها، وفي اللغة العربية وادبائها ، وفي التاريخ القديم . وكان من اساتذته في اللغات الشرقية المستشرق المجري الشهير اينياس غولسد تزيهر .

وفي سنة ١٩١٢ عُيِّنَ مُدَرِّسًا في اكااديمية التجارة الشرقية ، ثم اصبح مُدَرِّسًا في كلية الاقتصاد منذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهند الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بانشاء قسم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، ونُظِّلَ يَدْرَسُ فيه الى سنة ١٩٢٢ . وفي تلك الفترة شعر بهيكل الى الاسلام ، ناعتنقه عتيده له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٢٤ والتحق بالازهر لاجل التعمق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادى فريضة الحج ، وشاء ان يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه ( الله اكبر ) الذي طُبِعَ سنة ١٩٢٦ بالجرية ، ثم لم يلبث ان تُرجم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُيِّنَ استاذا للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، ونُظِّلَ في منصبه هذا الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م .

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعلمه ، منحته الكثير من الجامعات اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة او عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس او المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُيِّنَ عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُيِّنَ عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُيِّنَ عضوا شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُيِّنَ عضوا شرف في اتحاد الكتاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُيِّنَ عضوا في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذا زائرا في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ،  
واكره ، وعلْيُكْرَه ، ولكنسو ، وحيدر اباد ، ودلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام  
١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

واما اعماله العلمية فأكثر من ان تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات  
وبحوث ودراسات ؛ وقد كُتِبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات  
باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ،  
والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفيا بالثقافة العربية الاسلامية  
والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدمه في السن ، فقد ظل الى آخر حياته يكتب  
ويطالع ويكاتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسر سردُ ثبُت بجميع مؤلفاته وبحوثه  
بمختلف اللغات ، فسأقتصر ههنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية  
وحدها ، وهو :

- ١ - بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى -  
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦٩م .
- ٢ - حماية فلسفة التشريع الاسلامي - الاصاله / الجزائر ١٩٧٤م .
- ٣ - الاسلام كدين عالمي - ١٩٧١م .
- ٤ - دور الاسلام في تاريخ الانسانية - ١٩٧٢م .
- ٥ - نهضة الادب العربي - ١٩٧٥م .
- ٦ - النظرة الاسلامية الى الحياة - مجلة رابطة العالم الاسلامي -  
مكة المكرمة .
- ٧ - الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد - مجلة قافلة الزيت /  
الظهران . ١٩٧٥م .

٨ - ذكريات عن الحج - ١٩٦٩ م.

٩ - دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلة الاديب / بيروت ١٩٧٤ م.

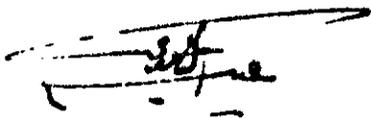
١٠ - عباس محمود العقاد - الاصاله / الجزائر ١٩٧٧ م.

وعدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلة المتنظف  
وغرها في مصر .

ولقد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابة سيرته  
وجولاته في البلاد العربية والاسلامية . وذكر لي في بعض رسائله  
الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصدر  
كتابا باللغة المجرية عنوانه : "Az Arab Irodalom Tortenete"  
تحدث فيه عما رآه في البلاد العربية، وعمن عرفهم من اعلام الادب  
والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البلاد . ف جاء هذا الكتاب تاريخا  
حائلا للفترة التي عاشها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيل  
الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاسلام الذي كان قد اعتنقه  
منذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكان من دواعي اعزازي ان  
يتحدث عني المؤلف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهم  
صورة لي وجزءا من احدى رسائلي اليه .

والآن وقد مضى الشيخ والعالم الجليل الحاج عبد الكريم  
جرمانوس ، فان مجمع اللغة العربية الاردني ليعث الى روحه  
الطاهرة باطيب التحية ، معربا عن الاسف العميق لفقده .

رحمة الله عليه .





فقيه العربية

الأستاذ عباس حسن

(١٩٠٦ - ١٩٧٩)

للككتور عدنان الخطيب  
(عضو مجمع اللغة العربية في دمشق)  
الأمين العام المساعد لجامعة الجوامع

نُفى مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة ، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي ( ابريل سنة ١٩٧٩ ) ، الى علماء العربية ورجالها ، الأستاذ عباس حسن مصطفى ، عضو المجمع والأستاذ السابق بدار العلوم ؛ اختطفه الموت وهو في أوج نشاطه الجسدي وقمة عطائه الفكري ، لم ينقطع يوما عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، والاخيرة منها كانت قبل وفاته بأسابيع قليلة ، كما انه لم يتغيّب عن شهود اجتماعات اللجان الجمعية المتخصصة ، وآخرها - كما نُهيى التّ - كان قبل بضعة ايام من لقائه وجه ربه الكريم .

كان الفقيه ، رحمه الله ، من اركان الدفاع عن لغة القرآن ،  
الذائدين عن الفصحى وسلامتها ؛ كما كان في طبيعة المناهجين عن  
قواعد النحو الاصيلية ، ومن اصلبهم عودا في رد هجمات المتخفنين منها ،  
وشطحات المستهترين بها ؛ لا يبالي بحججهم ولا يقيم وزنا لذرائعهم ،  
ولو ادى الامر به الى شيء من اللدد .

كان ، رحمه الله ، من اثبت علماء العربية جنانا في الدفاع عن  
مقدسية المتنون - وقد آمن بها - ونذر نفسه لخدمتها، وتجديد عرضها  
على من يطلبها ؛ شديد الكره للنظريات المستحدثة بأسم ((علم اللسانيات)) ،  
يدحض آراء اصحابها ومحاولاتهم تلبسها باللغة العربية ، ولا يُججم  
احيانا عن وصف ادعاءات بعضهم الغيرة على العربية ، بأنها سُتور  
للتفريب والتهديم .

دخل الفقيه الساحة ، والمركة محتدمة بين انصار العربية  
وخصومها ، وكان مع اهل اليمين، وسلاحه ، ككثير من المتانلة ، ايمان  
بالعربية لا حد له ، وعلم بأصولها وقواعدها قل نظيره ، وخبرة  
ايام خلّت ، امضاها في نقل هذا العلم الى طالبيه ما استطاع ،  
وغرس ذلك الايمان في نفوس طلابه ما تقبلوه .

واختير فقيدا باخرة ، ليكون مع النخبة من علماء العربية ،  
يعملون ليل نهار في خدمة اللغة ودفعها لتساير ركس الحضارة العالمية  
المتسارعة في خطواتها ، والمتساقطة مع الزمن في اندفاعاتها .

وكان الفقيه في مجمع اللغة العربية مع طائفة قال الله  
عز وجل فيها : ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم  
من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ) .

## زميل جديد :

في يوم من أيام سنة ١٩٦١ ، دخلتُ لأول مرة قاعة المؤتمرات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ وقادتني خطواتي الوئيدة السى الصف المواجه لمقعد الرئيس ، واخترتُ مقعدا منحرفا ، يستطيع من يجلس عليه ان لا يدع حركة في داخل القاعة او خارجها تنوته . وتالت جلسات المؤتمر ، وقد ألفتُ المقعد عينه ، أُسرُع اليه كلما كان فارغا ، او الى اقرب مقعد يجاوره .

وفي نهاية السنين دخلت قاعة المؤتمر وجلست على المقعد إبتاه ، واخذتُ اتطلع نحو الزملاء وهم يدخلون القاعة ، أنتظر صديقا منهم يجاورني فأنعم بجواره ؛ غير أنني فوجئت بعضو جديد ، لم يسبق لعيني ان وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المقعد المجاور ويحتله ، دون ان ترفَّ عينه نحو مقعد آخر . كان ربعة بين الرجال، يميل السى الفصْر ، وما بقى من شعر رأسه قد اشتعل شيئا ، وفي وجهه شيء من جهومة ، ونقاطيعة نتم عن جدّ تخالطه وحشة . وكتبتُ ما شعرتُ به : واخذتُ انظاهر بالبحث عن شيء بين اوراقى ؛ ولم البث ان اذرتُ وجهى يمنة ، فاذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفرج عن ابنسامة ، وبراسه ينحني قليلا وهو يتمتم بكلمات لم افهمها ، فقُدَّرتُ انه يحييني ويذكر اسمه ، ووجدت نفسي اردّ تحيته بمثلها ؛ ثم رفعت الجلسة دون ان نتبادل شيئا ما .

وفي جلسة اليوم التالي كان جساُ الامس جاري ، ودارت مناقشات حامية حول بحثِ القسي وفيه دعوة الى شيء من التحرر في قواعد اللغة ، تسهلا لتعميم الفصحى بين الناس . وأُعطيَت الكلمة للزميل الذي يجاورني ، فوقف يرتجل كلمة واضحة ، هادئة، متسلسلة الافكار ، ينكر فيها دعواتِ تُرددُ بين حين وآخر باسم تسهيل تعليم الفصحى ، مستنكرا التوجه بامثالها الى مؤتمرٍ ما انعقد الا لخدمة لغة القرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة ، داعيا الى رفض كل

دعوةٍ ظاهرُها خدمةُ اللغة ، وما هي في الحقيقة إلا من مُعاول هدمها .  
ورأيتُ نفسي اشارك المؤثرين ، الذين اعلنوا تأييدهم لتمليق الزميل ،  
بالتصفيق . وما لبث الزميل ان جلس والتفت نحوي وهو ينسم  
ابتنامة اُشْرُقُ بها وجهه ، فبدأ لي انه اصبح مطمئنا الى جوارِي .

كان ذلك الزميل عالمِ النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه  
بالأمس القريب ، وجاءني نعيه مصادفة (١) ، رحمه الله واجزل ثوابه .

لقد قتلت المؤتمرات ، وتعددت فيها الجلسات ، وحافظتُ كسلًا  
منسا على مقعده . حتى في اللقاءات خارج الجمع ، كان الفقيد كثيرا ما  
ياتس بجوارِي ويسمى اليه . واسبحنا سديتين نتبادل الاحاديث المتعلقة  
بشؤون المؤتمر وبرامج جلساته ورحلاته ، وفي شؤون كثيرة اخرى .

• • •

### نبذة عن حياة الفقيد وأثاره

فتى ازهري « يتدرَّعُ » :

وُلِدَ عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضرام حركتها  
الفكرية ، والوعي اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قد تيقظ ، واخذ  
كثيرون ينادون بالعمل لتصبح « الفصحى » ، لغة العلم والثقافة ، لغة  
سهلة متطورة تفهمها وتتقنها العامة فضلا عن الخاصة .

---

١ . نعاد لي الزميل الاستاذ محمد عبد الفتحي حسن ، وكان يجلس الى جانبي ، خلال  
مهرجان مؤرخ الشام ، الحافظ ابن عساكر .



( المفيد في مؤتمر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعدنان الخطيب )

والتحق الفتى عباس ، كالمئات من إِداته ، بالجامع الأزهر ، يُحفظ القرآن ويتلقى مبادئ العلوم العربية ، على الطريقة الأزهرية المتوارثة . وشعرَ عباس بحبِّ للعربية وعلومها يُعلّق قلبه ، فاخذ يفكّر في الانتقال الى « دار العلوم » ، وقد شاع بين أقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من أن تنظيماً للدراسة في دار العلوم قد أُقيمَ على أُسس جديدة جامعية ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم المصرية .

ما لبثَ عباس — على حد قول العالم الاديب الدكتور أحمد عمّار — أن « تملكته نزعة الهجرة من القديم الى الجديد ، فتحوّل من الأزهر الى دار العلوم ؛ واذا به يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستأثر بالجائزة المرصودة لها ، على مدى اعوام دراسته في دار العلوم ، مما خلفته ولا فاتته عاما « (١) .

واتسمَّ عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلما في المدارس الحكومية ، متقللا بسين ثانوياتها ، واسمه يزداد لمعانسا بين معلمي العربية ، مما ساعد على ترشيحه ليكون مدرّسا في « دار العلوم » نفسها ؛ حتى اذا ما تحوّلت الدار الى كلية من كليات جامعة القاهرة ، كان عباس حسن احد اساتذة العربية فيها ، ومن ثم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض ، الى ان بلغ سنّ الاحالة على المعاش .

### النحو الوافي :

اشتهر الفقيه بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد توجّها اخيرا بكتابه الضخم « النحو الوافي » (٣) وهو في اربعة اجزاء ، تستوعب جميع الابواب النحوية والصرفية ، مع ربطها بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد أعدّه — على حد قوله — اعدادا محكما يناسب طلبة الدراسات « النحوية والصرفية » ، ومناهج هذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذلّله بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعا وانيا للاساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مغفل الضوابط والاحكام التي قرّرتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

تقدم الفقيه لكتابه « النحو الوافي » بمقدمة هامة بين فيها قيمة علم النحو في ذاته ، واثره في بقية علوم العربية ؛ فهو دعامتها وقانونها الاعلى ، ترجع اليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؛ كما ضمّن هذه

( ١ ) انظر الخطاب المجمعى في استقبال عباس حسن - ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة محمّد اللغة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ .

( ٢ ) من هذه الدراسات كتاب « رأي في بعض الاصول اللغوية والنحوية » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

( ٣ ) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر ، وصدرت طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة « دستوراً » ملزماً نفسه باعتماده في التأليف ، موضحاً خطته لسي تجميع مواد الكتاب ، عارضاً تاريخ النحو منذ نشأته ، وللشواذب التي داخلته ثم « نَمَتْ على مَرِّ الليالي ، وتغلّفت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ، فشوّهت جماله ، واضعفت ثنائه ، وانتهت به الى ما نرى » (١) .

وشرح الفقييد الغرض الذي رمى اليه من تأليف الكتاب ، وقد استعان « بخبرة طويلة ناجعة ، وتجربة صائقة في تَعَلُّم النحو ، طالباً مستوعباً ، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدرّساً ، فاستاذاً ورئيساً لقسم النحو والصرف والعروض بكلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة ، سنوات طويلاً » (٢) .

ثم أوضح « الدستور » الذي اقام عليه الكتاب ، وخلصته في المواد التالية :

اولاً - تجميع مادة النحو كلّها ، وما يتصل به من الصرف في كتاب واحد ذي اربعة اجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسب طلاب الجامعات غاية المناسبة ، مذيّل بقسم مفصل يلائم الاساتذة والمتخصصين اكمل الملازمة وأتمّها .

ثانياً - العناية بلفظ الكتاب وضوحاً واشراقاً وإحكاماً واسترسالاً .

ثالثاً - اختيار الامثلة ناصعة ، بارعة في اداء مهمتها .

رابعاً - الفرار من العلل الزائفة ، وتعدّد الآراء الضارّة في المسألة الواحدة .

خامساً - تدوين أسماء المراجع في المسائل التي تتطلب الرجوع اليها ، استجلاءً للحقيقة أو ازالةً للوهم .

(١) انظر ص ٤ من النحو الوافي .

(٢) انظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

**سادسا -** عدم التزام طريقة تربوية معينة ؛ فقد تكون الطريقة « استنباطية » أو « القائية » ، وقد تكون « حوارا » حسب ما يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضوع .

**سابعا -** تسجيل ابواب النحو مرتبة ترتيب « ابن مالك في ألفيته » لشيوعه ومزاياه التي تلائم العصر .

**ثامنا -** توثيق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودها .

وختتم الفتيمة مقدمته بقوله : « واللّه أرجو مخلصا ان يجعل الكتاب ناما لفة القرآن ، عوناً لطلابها ، محققا الغاية النبيلة التي دعت لتأليفه ، والقصد الكريم من إعدادة » (١) .

**عباس حسن ناقداً :**

لم يكن عباس حسن شاعرا ، ولكنه كان عروضياً ناقداً ؛ كان شديد التذوق للشعر، قديمه ومُعاصِره ؛ وكان في تذوقه هذا ، دقيق الملاحظة عميقها ، مهرف الشعور ، ذا حساسية فنيّة تكشف مواطن الجمال والخيال الرائع ؛ ساعده على ذلك ذوق بلاغيّ نّماه واصّله فيه الاطلاع الواسع على الادب العربي ، والمعرفة الكاملة بطووم العربية واساليبها البلاغية .

اقسام عباس حسن للنقد الادبي منهجا علميا ، كما اقامه في ابحاثه اللغوية والنحوية . لقد كان ، مثلا ، من اشدّ المعجبين باحمد شوقي ، من الشعراء المعاصرين ، وعندما اقام موازنة بينه وبين المتبسي ، كبير شعراء العربية الاسلاميين في كتابه عنهما ، كان حكمه في التّمة من الانصاف . لذا رأيناه - كما يقول الاديب الكبير الدكتور احمد هيار - على فرط اعجابه بشوقي : « قد نأى بحبه ايساه عن ان يكون باعث محاباة ، كما لم يُضنّ على المتنبّي بالمستطاب من الثناء حيثما جلس واجساد ... » (٢) .

(١) انظر ص ١١ من المقدمة .

(٢) انظر الخطاب المشار اليه سابقا .

فأرن عباس حسن بين الخيال عند المتنبسى والخيال عند شوقى ،  
وبين المعانى لى كل منهما ، مستشهدا بشعر منتقى من ديوانيهما ،  
ثم ختم مقارنته بقوله :

« ومن طرائفه - شوقى - الساحرة اندلسيته النونية التسي  
يعارض بها نونية ابن زيدون ، والتي أطلق فيها خياله ، يبتدع وابتكر ما  
شاعت له القدرة والحرية والبراعة التي أغرته بالجموح حيناً ؛ وبهذه  
المناسبة نقول : ان خيال شوقى سادر في مختلف تصائده ، شأن الذين  
انحيت لهم ثقافته وسياحاته ومُتَعَهُ ووسائلُ حياته ؛ وقد يتجاوز  
خياله حد الفَراهة المحمود الى حدّ الجموح . وقد يموج الخيال  
في تصائده ويجول ويمرح ، وقد يجمع ؛ وشوقى في خياله الهادىء او  
الجامع خير من المتنبى واقدر ، فكيف به في الخيال الفاره النشيط » (١) .

#### الفقيد في مجمع اللغة العربية :

في سنة ١٩٦٥ سُفر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقعد  
كان يحتله المرحوم على بدوي ، احد كبار اساتذة القانون اللامعين ؛  
وفي جلسة المجمع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ( نوفمبر ) سنة  
١٩٦٦ ، تمّ انتخاب الاستاذ عباس حسن ، احد كبار علماء اللغة  
العربية المتخصصين بالنحو ، ليحتلّ المقعد الخالى في المجمع .

وعقد المجمع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٦ هـ ، الموافق  
٦ من آذار ( مارس ) ١٩٦٧ م ، جلسة خصصها لاستقبال الاعضاء  
المنتخبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان اولهم مؤرخا ، وثانيهم  
قانونيا ، واما الثالث فكان نحويا ؛ لذا كانت من اطراف جلسات  
الاستقبال الجمعية ، لما جمعته من اصناف الرجال المتباينة بضاعتهم ،  
اذ كانت بضاعة الاول هي : الانسان والمجتمعات ، بينما بضاعة الثاني :  
النظام والدول ، واما ثالثهم فبضاعته : الحروف والكلمات .

( ١ ) نبذة منقولة من كتاب « دفاع عن شعراء » تلويق النكبي . بيروت ١٩٧٥ .

ووقف الدكتور أحمد عمار ، يستقبل سديقه الزميل الجديد عباس حسن ؛ فلم يجد بُدًّا من أن يرفه عن زملائه ، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتعريض بعلماء النحو ، ذاكرا بعض المُلح المروية عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم ، مجتزئا من معابثاته مع سديقه عباس بُمُلحة « تجلوه فقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو أوسار حسه ، وملا عليه اقطار نفسه .

قلتُ له يوما في إحدى ندواتنا الادبية التي نعقدها نسي امسية محددة من كل اسبوع : ما انما من رجال النحو ، وانما شائسي معك شان ذلك الاعرابي الذي قال :

ولست بِنَحْوِيِّ يَلُوكُ لِسَانَهُ      وَلَكِنْ سُلَيْمِيٌّ اَقُولُ فاعْرَبُ

فقال : يلوك لسانه ام يلوك لسانه ؟ فُلذتُ بالصمت ايشارا للسلامة ، وخشية التورط فيما أُقصر عن المباراة فيه « (١) .

على ان الدكتور عمار ، وهو يتحدث عما يُستشعر به الناس من ثقل في النحو ، وعما تحفل به الكتب من افاعيل للنحاة هي بافاعيل الحواة اشبه واشكل ، استطاع ، وهو العالم الاريب ، ان ينتزع من زملائه بعض ما بثه فيهم رهبةً من افاعيل رجال النحو ، وهو يقول : « .. وعالمنا النحوي عباس حسن ، وان كان يحلو له في هزله ان يصطنع بغض تلك الاناعيل ، فانه في جِدِّه لشدِّ ما يستكره ويستنكر كسل ما يعثور النحو من حيلٍ مستنقلات ، وتقديرات نخبايا انبيات ، وإرجاف بخفايا المضمرات ؛ بل ان حبه للنحو حبًّا جمًّا ، وتدله فيه مستهما ما به سبا ، واستيقانه انه من اجلِّ علوم اللغة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن ان يشنّها حملات صدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارف المعايير ومتناقل المثالب « (٢) .

(١) انظر ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .

واستشهد الدكتور <sup>شاهر</sup> بما جاء في حملات صديقه على من  
يُلصق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين يفتعلون المُلح للتندر  
والارتزاق . واتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب  
« الحيوان » ، للجاحظ ، مستنكرا ، « وهي ان معترضا قال للاخفش :  
انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلِّها ؟ وما بالنا  
نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تُقدِّم بعض العويص وتؤخِّر بعض  
المفهوم ؟ فاجاب قائلا : انا رجل لم اصعُ كُتبي ابتغاء وجه الله ولا  
زلفى اليه ، فليست من كتب الدين ، ولو وضعتها على النحو السذي  
تريدونه ، لُكِّت حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وانا  
غايبي الكسب ، فوضعت بعضها مفهوما لتدعوهم حلاوة ما فهموه الى  
التماس فهم ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأس علوم اللغة ،  
وعن سمعة النحاة الذين جمَّعوا اللغة وصانوها ، ورفعوا مَرَّحها  
شامخا ركيئا ، كما قال احد كبار الفقهاء ، اثنى على مجمع اللغة  
العربية الذي يستقبله اليوم، فقد « استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته ،  
ان ينتزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارى في الانصاف  
والتقدير بعض زنادقة اللغة ، لهوى مدخول او حقد كامن ، او جهالة  
بقدر اللغة واهلها » . ثم خاطب عباس حسن زملاءه طلبا منهم  
التاسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتئس علماءنا بما كان ويكون من خوارج  
هذه الايام ، فتلك شنشنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال (٢)

صراع ، دخل الصف :

لا يحسبن الذين يقرؤون مقررات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ،  
ان اقرارها كان سهلا هينا ، فكم من حوار امتد زمنا حول قاعدة لغوية  
او حول مدى التقيد بها ، وكم من مناقشة حادة جرت حول اثبات  
كلمة او حول حذفها ، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

( ١ ) انظر المصدر السابق .

( ٢ ) انظر ص ١٧٥ من المصدر السابق .

حتى استطاع اتخاذ قرار في مسألة من مسائل اللغة ، ، وكسب من الوقت استغرقه اقراراً او رفضاً مقترحاً عُرض على مؤتمر المجمع ؟ !

لمعل عباس حسن ، يوم دخل مجمع اللغة العربية ، كان يعتقد بان عناءه في خدمة لغة القرآن سيخفف عما كان قبل دخوله ، فقد أصبح من النخبة من علماء العربية العاملين على خدمتها ودفعها لتساير ركب الحضارة . ولكنه لم يلبث ان وجسد نفسه وحيدا امام اعضاء من دأبهم التحرش بالنحو والنحويين ، شأن القدامى من العلماء ، ومنهم من يجاهر بكرهه للمتسوسن ، ولا يتيم وزنا لآراء علماء عاشوا من مئات السنين ، اذا كانت آراؤهم لم تعد تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعلّه ، رحمه الله ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهم من غلاة الغيارى على العربية يوم انكروا عليه القول بـ ( تحديث ) اللغة لتساير العصر الحديث ، وهو لا يدري ماذا ينتقص عن شأن ( علم الحديث ) اذا كان للتحديث اكثر من معنى في المجمع ( ١ ) !

التزم فقيدنا في مجمع اللغة بخطاً اخطه لنفسه ، غير مبال بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما تراه في أقصى يمين هؤلاء مرات عديدة ، تراه احيانا في أقصى يسار اولئك ؛ وليس لك ان تعجب ، لان النقيض التزم نفسه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قال بها علماء اللغة ، والنحويون بخاصة ، تلك القواعد التي آمن بها اسلوبا وحيدا للحضارة على اللغة وإيمانها .

وعندما اختلف رأي المجمعيين حول اجازة ادخال لفظه « مناورة » في المعجم على احد الوجهين التاليين :

الاول - ان من معاني « المناورة » : الدهاء ، فمن حقها ان تثبت فسي المعجم في مادة ( ن و ر ) التي تحمل معنى الخداع والحيلة .

( ١ ) انظر وقائع مؤتمر ١٩٧٩ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني عند ٣ .

**الثاني** — ان لفظ « مناورة » معرب ، ومنقول بدلالته الحربية والسياسية المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجم في مادة ( م ن ا ) .

وقف الفقيده مع اصحاب الراي الاول ، ليعلن ان وزن « المفاعلة » وزن اصيل شائع في العربية مثل : المداورة والمزاوغة والمشاوره والمحاورة ، وليس في قواعد العربية ونصوصها ما يمنع من ان تدخل الكلمة في مادة ( ن و ر ) كما تدخل الكلمات المشابهة في مواد ( د و ر ) ، و ( ر و غ ) ، و ( ش و ر ) ، و ( ح و ر ) فهي مثلن عربية ، وان لم تُرد في المعجمات ؛ وكأنه يقول بان المناورة عربية الجذر بمعنى الدهاء ، اما معانيها الحديثة فهي من قبيل المجاز المستحدث (١) .

وعُرِضَتْ على المؤتمر ، في دورته الاخيرة ، كلمة ( التطيع ) بمعنى (جعلها طبيعية) ، كما ترددت على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، فكان الفقيده مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنع من اجازة الكلمة بالمعنى المذكور ، طبقا للضوابط اللغوية ، ولكن هذا المعنى السياسي الجديد رَفُضَتْه الاكثرية عند اعلان التصويت عليه (٢) .

وعندما وقف بعض المتشددين من الجمعيين ينتقد استخدام الكتاب والصحائين لفظة (تواجَد) بمعنى لا تُقره معجمات اللغة ، ثار الفقيده مبرنا العربية من الجمود الذي توصل به ، وقائلا : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجَد) المعنى الذي يريده المعاصرون ، فَمَثَلُهَا مَثَلُ : ( تكأَسَر ) و ( تناسَل ) (٣) .

شمائل الفقيده ومزاجه :

خُبِرْتُ الفقيده خلال عدد من السنوات ، بمجاورتي له في المؤتمرات السنوية لجمع اللغة العربية ، فما عرفت عنه الا رقة

( ١ ) انظر المصدر السابق .

( ٢ ) انظر المصدر السابق .

الشكل ، مع اقتصاد في الجملات المتعارف عليهما بين الزملاء . كان  
رحمه الله ، عَفَّ اللسان ، صافي السريرة ، يقول ما يمتد ، دون محاباة  
او مواربة ، او يُصمِت . لم اسمع منه يوما كلمة نابية ولو بحسب  
انسان فيه انحراف او عنده زيغ .

كان خجولا ، لا يجلس الا جنب من يانس اليه ، ولا يتطفل على  
مكان شاغر بين الناس اذا لم يُدع اليه ؛ كان هادئ الاعصاب ، عنده  
قدرة هجبية على امتلاكها اذا ما أُثرت ، مع كثرة المنقصات .

لم اشعر يوما بكرهٍ يُضمره نحو احد ، ولو كان ممن يُكثر الغمز  
واللُزم من النحو او النحاة ؛ وكثيرا ما سمعته يردد جملة ( هداه الله ) .

كان الفقيده ، اذا ما استقرَّ به المقام ، نُثرَ دفاتره واوراقه  
امامه ، وقد ملامها بخطوط وشارات ورموز لتُذكِّره بالمواضع التي عليه  
ان يتنبَّه لموعده عرضها ، فيبيدي اعتراضه عليها او  
نقده لها ، او دفاعه عن سلامتها ؛ وكانت الدفاتر  
تُسمَّنة بالادلة التي يستند اليها وبالمصادر التي يعتمدها ، وحتى بارقام  
الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعا ومكانه .

كان الفقيده يسند كوع يسراه على المنضدة ، وكُنَّه مفتوحة تشير  
دائما الى ان صاحبها يطلب الكلام ، بينما تكون يميناه تعبت بالاوراق  
المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله  
المناقشات . وهو يحاول ان لا تفوته كلمة مما يدور ، وكثيرا ما فاته الاذن  
بالكلام وهو راغب فيه ، فكان يتردد في الاصرار على طلبه ، وبخاصة  
عندما يشمر برغبة الاكثرية في امضاء الامر المطروح على التصويت ،  
الا اذا كان الامر مما لا يصح سخوته عنيه ، فكان يرفع يميناه الى اقصى  
ما يستطيع لينال الاذن بالكلام ؛ واحيانا كان لا يتاخر عن الوقوف ليعلن  
انه يريد الكلام ، حتى اذا ما اعطيه ، كان جريئا في الدفاع عما

يعتقد صوابه ، شديداً في مهاجمة ما سمعه أو ما يراود اقراره ، مبيّناً وجه الصواب المتفق مع النصوص ، تالياً لها أو مشيراً الى موضعها .

كان الفقيه يحاول ان لا يُردّ على زميل من غير المصريين لا يعرفه ، قبل ان يميل نحوى سائلاً عن هوية المتكلم ومثربه ، كى لا يتمدّى حدود الموضوع الى البواعث الخفية .

كان وطيسُ المناقشات يحمى في كثير من الجلسات ؛ فاذا رغب فقيدنا في الكلام انظر الاذن لبيداه . ولم اره مرة يقاطع متكلماً ، على كثرة الذين كانوا يقاطعوناه ، حتى اذا انهى الراي الذي يريد ابداءه او تسجيله في محضر الجلسة لتقرأه الاجيال الناشئة ، استراح غير عابىء بصدى كلامه عند سامعيه ، وغير مهتم براى منكر او مستهجن .

كان رحمه الله ، كثيراً ما يفضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه ، او عن التقلّصات التي تملو وجوه بعض آخر ، غير ملتفت الى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الايدي ، وفيها البيت او البيتان من روائع « شعر البداهة » غمزا بالنحو والنحويين . وان أنسى لا أنسى يوماً وقعت بيده احدى تلك الوريقات ، فاذا به يبتسم متوجّها نحو مصدرها وهو يقول : رائع . . ولكن لو كان ( كذا ) بدل ( كذا ) لكان القول ابلغ .

كما انى لا انسى يوماً قرأت فيه قطعة ادبية منمها المرحوم محمد كامل حسين ، صاحب « النحو المعقول » ( ١ ) ، فيها تهكم على النحويين وسخرية بأرائهم وتعقيداتهم ؛ ثم علمت بان عباسا ، تغمده الله

---

( ١ ) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية ( ١٩٠١ - ١٩٧٧ ) كان احد مبادرة العلم والادب والنقد ، وكان جراحاً ماهراً وفيلسوفاً ادبياً ، وناقداً يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكره اساليب النحويين القديسة وتعليقاتهم ، له ، فضلاً عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيّمة من اهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « منظومات » .

بالرحمة والرضوان ، سبق ان اطلع عليها ، ولكنه لم يخرج عن قوله :  
« سامحه الله » .

كان مقبدا ، رحمه الله ، يخلق في اجوائه منفردا ؛ كان امة  
وحده . اجزل الله ثوابه ، وعوض العربية خيرا .

دمشق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنان الخطيب